

تفسير ابن كثير

يحتج تعالى على المشركين باعترافهم بوحدا نيته وربوبيته على وحدانية إلهيته فقال تعالى : { قل من يرزقكم من السماء والأرض } أي من ذا الذي ينزل من السماء ماء المطر فيشق الأرض شقا بقدرته ومشئته فيخرج منها { حبا * وعنبا وقضبا * وزيتونا ونخلا * وحدائق غلبا * وفاكهة وأبا } أإله مع الله ؟ فسيقولون لا { أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه ؟ } وقوله : { أمن يملك السمع والأبصار } أي الذي وهبكم هذه القوة السامعة والقوة الباصرة ولو شاء لذهب بها ولسلبكم إياها كقوله تعالى : { قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار } الآية وقال : { قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم } الآية وقوله : { ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي } أي بقدرته العظيمة ومنته العميمة وقد تقدم ذكر الخلافة في ذلك وأن الآية عامة لذلك كله وقوله : { ومن يدبر الأمر } أي من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه وهو المتصرف الحاكم الذي لا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون { يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن } فالملك كله العلوي والسفلي وما فيهما من ملائكة وإنس وجان فقيرون إليه عبيد له خاضعون لديه { فسيقولون لا } أي وهم يعلمون ذلك ويعترفون به .

{ فقل أفلا تتقون } أي أفلا تخافون منه أن تعبدوا معه غيره بآرائكم وجهلكم وقوله : { فذلكم الله ربكم الحق } الآية أي فهذا الذي اعترفتم بأنه فاعل ذلك كله هو ربكم وإلهكم الحق الذي يستحق أن يفرد بالعبادة { فماذا بعد الحق إلا الضلال } أي فكل معبود سواه باطل لا إله إلا هو واحد لا شريك له { فأنى تصرفون } أي فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة ما سواه وأنتم تعلمون أنه الرب الذي خلق كل شيء والمتصرف في كل شيء وقوله : { كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا } الآية أي كما كفر هؤلاء المشركون واستمروا على شركهم وعبادتهم مع الله غيره مع أنهم يعترفون بأنه الخالق المتصرف في الملك وحده الذي بعث رسله بتوحيده فلماذا حقت عليهم كلمة الله أنهم أشقياء من ساكني النار كقوله : { قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين }